من ذاكرة ثورة أكتوبر المظفّرة..

الشيخ المغربي.. قائد الذئاب الحمر في الجبهة الغربية

كيف عرف المغربي بقدرة تأثيره على القبائل وبروزه قائدا مقداما شجاعا؟

امتلك الشهيد قدرات ومهارات قتالية اشتهر بها أبرزها تنفيذ هجمات فدائية باسلة استهدفت تحركات قوات الاحتلال البريطاني

«الأمناء» كتب/ محمد النقيب:

احتفالنا السنوي بثورة أكتوبر هو أحد أشكال التعبير الجماهيري عن فخرنا واعتزازنا بأحد أعظم الإنجازات والانتصارات الوطنية التي لا يأفل شعاعها ويستحيل على الزمن والقوى الظلامية وأطماعها الحاقدة طي صفحاتها في بحر النسيان أو إلغائها من وجدان وضمير الشعب وتاريخه, فالـ14 من أكتوبر 1963م دخل الموسوعة التاريخية للحضارة الإنسانية كعنوان بارز لعظمة وكفاح وانتصار شعب الجنوب التواق للحرية, هزم أعتى إمبراطورية استعمارية في التاريخ. لكن هنالك من فصل هذا الحدث الأسطوري التاريخي العروبي عن كثير من صانعيه الأبطال، إذ طغت غايات المؤرخ السياسي على موضوعية المؤرخ الثوري أو المنصف حتى بتنا للأسف نجهل الرجال الأبطال الذين كانوا حول مفجر ثورة أكتوبر راجح بن غالب لبوزة ومن كانوا تقترن أدوارهم بأدواره الملحمية، ذلك ما يتوجب علينا بعث هذه الأسماء العظيمة التي اندثرت تحت ركام صراعات الأقلام السياسية المؤرخة للسياسي لا للتاريخ والأجيال.

14 أكتوبر, عنوان لواحدة من أعظم الثورات الوطنية التحررية في العالم التي تفردت بخصوصياتها وسجاياها الاستثنائية في بيئتها الوطنية الثورية واتساع قاعدتها الاجتماعية وتعدد وتنوع أساليبها وأدواتها النضالية السلمية والعسكرية, وفي طبيعة التكلفة الباهظة التي استخلصتها من الشعب ثمنا لانتصاره فهي تجاري الثورة الجزائرية لولا طائل الابتزاز والتغليف لجوهرها ورجالها.

ورغم ذلك كانت بكل المعايير ثورة عظيمة برجالها وبأهدافها التحررية والتنموية الشاملة وفي أبعادها الحضارية والإنسانية وفي تجربتها السياسية في بناء الفرد والمجتمع والدولة، وهذا ما يتفق عليه كل المؤرخين والباحثين المحليين والعرب بل وحتى قادة الاستعمار البريطاني.

للإنصاف

اليوم ونحن في خضم احتفالنا بالذكرى الـ55 لمثل هكذا ثورة ومفخرة وطنية تاريخية يتوجب علينا التذكير بواحد من أبرز رجالها، المناضل الفقيد الشيخ محمد حيدرة المغربي، الذي تمتد إسهاماته النضالية منذ الانتفاضات الشعبية والقبلية المسلحة ضد المستعمر البريطاني أواخر أربعينيات القرن الماضي وفي ذروة الزخم الجماهيري السلمي وانتفاضاته المسلحة في فترة الخمسينيات مرورا بانطلاق شرارة الـ12 من كتوبر 1963 كثورة منظمة من جبال ردفان بقيادة الشهيد البطل راجح بن غالب لبوزة وحتى انتصارها الملحمي في 30 من نوفمبر 1967.

وقد شكلت سياسة الملاحقة والحملات العسكرية التي انتهجها المستعمر البريطاني ضد الرعيل الأول لثورة أكتوبر وقادة الانتفاضات التي سبقتها أحداث فتحت المجال لتعرفهم على قادة حركة القوميين العرب سواء في الداخل أو الخارج، ذلك ما جعلهم أكثر استنارة وإحاطة بما يحيطهم وثورتهم على الصعيد الداخلي والخارجي فاستثمروا لتنظيم أنفسهم على أولويات من منظور قومي ووطني طالما ومكاسبه أجدى من الانكفاء في الاطار الجبهوي المحلي، ففي عام 1962 التقى الشيخ المناضل محمد حيدرة المغربين، بعد نفيه إلى الشمال، بوزير حرب الجمهورية المصرية في عهد الزعيم العربي الراحل جمال عبدالناصر وزخم قيادته التحررية لكل شعوب المنطقة العربية العروبي، زخم تصدر اهتمامات العالم بأسره، وبعد اللقاء كلف الشيخ المغربي ضمن القيادات الثورية الجنوبية لقيادة الجموع المسلحة الجنوبية التي انبرت للمشاركة في الدفاع عن ثورة سبتمبر وفك الحصار عن صنعاء ومن ثم ملاحقة فلول الملكيين في محافظة المحويت وجبال المحابشة بمحافظة حجة، وكانت القوة التي تحت قيادته قرابة 300 وهم من الحواشب وردفان والصبيحة.

وفور تنفيذه المهمة الموكلة إليه من قبل القيادة المركزية للقوات العربية المساندة لمجلس قيادة ثورة سبتمبر والجمهورية العربية اليمنية الوليدة عاد مع الشيخ غالب راجح بن لبوزة لإشعال فتيل ثورة الـ14 من أكتوبر من جبال ردفان الشماء 1963م.

الشيخ الأكتوبري القائد

عرف الشيخ محمد حيدرة المغربي بقدرة تأثيره بالقبائل وانضوائه قائدا مقداما شجاعا من قادة جيش التحرير الميدانيين فضلا عن مهاراته القتالية التي اشتهر بها خاصة في تنفيذ هجمات فدائية باسلة استهدفت تحركات قوات الاحتلال البريطاني وقواعد وأماكن تمركزها ومن أبرز هذه العمليات الفدائية وأشهرها التي ارتبطت بالشيخ المغربي:

عملية الهجوم على مقر الضابط السياسي البريطاني في الحبيلين في الثاني من فبراير 1964، وفي اليوم التالي قاد هجوما على القوات البريطانية.

وفي 30 من مارس 1964 قاد هجوماً آخر على القاعدة العسكرية البريطانية في الحبيلين.

وفي الخامس من أبريل 1964 شن هجوما ثانيا على مقر الضابط السياسي البريطاني وعقب أسبوعين من ذات الهجوم قاد هجوما مباغتا على الجيش البريطاني في قاعدة العند.

هذا التتابع في الهجمات التي قادها الشيخ المغربي انتقل به إلى قيادة هجمات الاشتباك المباشر مع القوات البريطانية، ومثل هذا الانتقال طورا جديدا للثورة وكفاحها المسلح ومن أشهرها معركة سيلة بله في الثاني من يونيو 1964م، وهو نفسه الذي قاد معركة وادي ملحال ومعركة وقد ذاع صيته كقائد فدائي في معركة حبيل «العلاف» التي أسفرت عن احراق معسكر البريطانيين اثر انفجار خزانات القود، وهنالك عمليات عسكرية كثيرة قادها الشيخ محمد حيدرة المغربي على معسكرات وتحركات الاحتلال البريطاني ليس لأنه فدائي وحسب بل لأنه قائد الجبهة الغربية لردفان، وهي حسب خصوصيتها الجيوعسكرية واجهة الجبهة في التصدي لإمدادات القوات الاحتلال البريطانية وحملاتها التي قادتها على ثوار أكتوبر في ردفان والحواشب والضالع، ظل في تفوقه القيادي واحدا من أبرز القادة الميدانيين لجيش التحرير، وتوسعت مآثره البطولية بتوسع الكفاح المسلح لثوار أكتوبر، فمن ردفان وعلى خط الزحف الثورة وصولا إلى عدن كان ضمن الصف القيادي الميداني ومشاهيره على الصعيدين العسكري والسياسي ولولا أنه ضمن القيادات الأكتوبرية التي طالها فرز صراع رفاق السلاح في الجبهة القومية وجبهة التحرير وتطور اختلافهم الذي هو انعكاس للتصدعات التي ضربت لحمة الحركة القومية التحررية العربية إلى نزاعهم العسكري قبيل حسم الانتصار الناجز لثورة أكتوبر، لكان واحدا ممن اشتهرت نجومية بطولاتهم وذاع صيتها في ذاكرة أجيال اليوم كالرموز التي تعنونت بهم ثورة أكتوبر غير أن تصنيفه ضمن قيادات جبهة التحرير، فقد طاله للأسف التهجير إلى خارج الوطن يراقب التبدلات والتحولات التي اعترك بها الجنوب ودولته الوليدة بقلق على شعبه وسمو أهداف ومبادئ ثورته الخالدة التي لازمته حتى وافاه الأجل في السابع من فبراير 1998.

ولمثل الفقيد الأكتوبري الشيخ محمد حيدرة المغربي حري بنا أن نحني هاماتنا إجلالاً وإكراماً لتاريخهم النضالي المشرف والخالد في ضمير ووجدان الشعب وإعادة العدالة التوثيقية لمظلوميتهم النضالية التي ترفعوا عن ذكرها في حياتهم أو التشكي لعدم رعايتهم كما يليق بقادة هم الرعيل الأول من صناع ثوة أكتوبر الأفذاذ الذين حملوا على عاتقهم مهمة تحرير الوطن وإعادة بعثه, متجاوزين كل المستحيلات وأدوا واجبهم الديني والوطني حتى النهاية بشجاعة وبسالة وبطولات نادرة, وبإيثار قل نظيرة ولم يدخروا وسعاً في تقديم التضحيات الجسيمة لينعم شعبنا بالحرية والحياة الكريمة.

أسرة الشيخ الأكتوبري الثائر محمد المغربي لا زالت تصول وتجول في مضمار الثورة الجنوبية اليوم, فأبناؤه وأحفاده يقفون صفا واحدا في مقدمة ركب الثورة الجنوبية يصطفون خلف المجلس الانتقالي الجنوبي بكل ثقلهم في صورة توحي بعظمة المبادئ التي تشربوها من عميد الأسرة الشيخ الأكتوبري البطل محمد المغربي.